وضل بمعنى غاب كقوله تعالى (أإذا ضللنا في الأرض) أي غيبنا فيها بالدفن . و (ما) موصولة و (يفترون) صلتها والعائد محذوف أي يختلقونه وما صدق ذلك هو شركاؤهم .

والمراد : غيبة شفاعتهم ونصرهم لأن ذلك هو المأمول منهم فلما لم يظهر شيء من ذلك نزل حضورهم منزلة الغيبة كما يقال : أخذت وغاب نصيرك وهو حاضر .

(ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين [25]) عطف جملة ابتدائية على الجمل الابتدائية التي قبلها من قوله (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) .

والضمير المجرور ب (من) التبعيضية عائد إلى المشركين الذين الحديث معهم وعنهم ابتداء من قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي ومن المشركين من يستمع إليك . وقد انتقل الكلام إلى أحوال خاصة عقلائهم الذين يربأون بأنفسهم عن أن يقابلوا دعوة الرسول صلى ا عليه وسلم بمثل ما يقابله به سفهاؤهم من الإعراض التام وقولهم (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) . ولكن هؤلاء العقلاء يتظاهرون بالحلم والأناة والإنصاف ويخيلون للدهماء أنهم قادرون على مجادلة الرسول E وإبطال حججه ثم ينهون الناس عن الإيمان . روى الواحدي عن ابن عباس أنه سمى من هؤلاء أبا سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمية وأبيا ابني خلف اجتمعوا إلى النبي صلى ا عليه وسلم يستمعون القرآن فلما سمعوه قالوا للنضر : ما يقول محمد فقال : والذي جعلها بيته " يعني الكعبة " ما أدري ما يقول إلا أني أرى تحرك شفتيه فما يقول إلا أساطير الأول ين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية . يعني أنه قال ذلك مكابرة منه للحق وحسدا للرسول E . وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأول ى . وكان يحدث قريشا عن أقاصيص العجم مثل قصة " رستم " و " إسفنديار " فيستلمحون حديثه وكان صاحب أسفار إلى بلاد الفرس وكان النضر شديد البغضاء للرسول صلى ا عليه وسلم وهو الذي أهدر الرسول E دمه فقتل يوم فتح مكة . وروي أن أبا سفيان قال لهم : إني لأراه حقا . فقال له أبو جهل " كلا . فوصف ا حالهم بهذه الآية . وقد نفع ا أبا سفيان بن حرب بكلمته هذه فأسلم هو دونهم ليلة فتح مكة وثبتت له فضيلة الصحبة وصهر النبي صلى ا عليه وسلم ولزوجه هند بنت عتبة بن ربيعة .

و (الأكنة) جمع كنان بكسر الكاف و " أفعلة " يتعين في " فعال " المكسور الفاء إذا

كان عينه ولامه مثلين . والكنان : الغطاء لأنه يكن الشيء أي يستره . وهي هنا تخييل لأنه شبهت قلوبهم في عدم خلوص الحق إليها بأشياء محجوبة عن شيء . وأثبتت لها الأكنة تخييلا وليس في قلب أحدهم شيء يشبه الكنان .

وأسند جعل تلك الحالة في قلوبهم إلى ا تعالى لأنه خلقهم على هذه الخصلة الذميمة والتعقل المنحرف فهم لهم عقول وإدراك لأنهم كسائر البشر ولكن أهواءهم تخير لهم المنع من اتباع الحق فلذلك كانوا مخاطبين بالإيمان مع أن ا يعلم أنهم لا يؤمنون إذ كانوا على تلك الصفة على أن خطاب التكليف عام لا تعيين فيه لأناس ولا استثناء فيه لأناس . فالجعل بمعنى الخلق وليس للتحويل من حال إلى حال . وقد مات المسمون كلهم على الشرك عدا أبا سفيان فإنه شهد حينئذ بأن ما سمعه حق فدلت شهادته على سلامة قلبه من الكنان .

والضمير المنصوب في (أن يفقهوه) عائد إلى القرآن المفهوم من قوله (يستمع اليك) . وحذف حرف الجر . والتقدير : من أن يفقهوه ويتعلق ب (أكنة) لما فيه من معنى المنع أي أكنة تمنع من أن يفهموا القرآن .

A E